

ثنائية الموت والحياة في شعر معد الجبّورى

حسين الياسى*

تاريخ الوصول: ٩٦/٧/١١

تاريخ القبول: ٩٦/١١/٢٠

الملخص

معد الجبّورى من شعراء جيل الستينيات الذى عاش الأحداث التى عصفت بالعراق وشرب من الكأس التى شرب منها الشعب حتى الثمالة، وأرسى جذور المقاومة والتصدى فى نفسية المواطن العراقى بما ينشره من خطاب الإحياء مقابل خطاب الموت الذى تنشره السلطة الأمريكية وحاول فى الظروف المتسمة بعنف دكتاتورية صدام حسين للحفاظ على تلاوين الحياة ولخلق التشبث بها عند المواطن العراقى الذى كان يعانى من عنف الدكتاتورية. يحاول هذا البحث عبر قراءة استكشافية معتمداً على المنهج الوصفى- التحليلى أن يقارب الفكرة المسيطرة والمتكررة على خطاب معد الجبّورى، ألا وهى فكرة الموت والحياة. ومن النتائج التى توصل إليها البحث هو أنّ معد الجبّورى يكرّس بتوظيف الرموز الطبيعية والإكثار منها و الإشارات الحضارية الموت الذى أحدق حياة الإنسان العراقى وأحلامه بتجسيد إضطهاده وما تمارس بحقه الدكتاتورية والسلطة الأمريكية كما تكرّس فكرة الحياة وما يلفت الإنتباه هو هيمنة مسحة التفاؤل والأمل بالحياة والعودة إلى التفتح والزهو على الموت والإضمحلال فنرى الشاعر يتشبّث بالحياة قابضاً على جمر الأمل والتفاؤل ذلك لأنّ الأمل يزيل الغياب وهو الذى بإمكانه أن يخفّف من الهمّ المتجذر فى ذاكرة الوطن العربى ومن ثقل الزمان والمكان على كاهل إنسانه ويحقق الحضور وتحقيق الحضور فى شعر معد الجبّورى يأتى بفعل الموت والشهادة والموت فى سبيل الأرض عند الشاعر هو الموت البطولى الذى يحقق الحضور للأرض وإنسانها. الكلمات الدليلية: الشعر العراقى المعاصر، السلطة الدكتاتورية، السلطة الأمريكية.

المقدمة

معد الجبوري من شعراء جيل الستينيات حسب الأجيال الشعرية، «جيل الموجة الصاخبة» حسب ما قاله الناقد العراقي الكبير سامى مهدي «(البستاني، ١٥٠٢م: www.dijila.com). والشعر عند شعراء هذا الجيل الثورى واقعى موضوعى رافض وله علاقة الصدام مع الواقع المعيش وكان الشاعر الستينى الصاخب منهكاً بالواقع المعيش ومشتبكاً مع ما يجرى فيه فى مسعى لزلزلة الواقع وإقامة حياة إنسانية تكسوها العقلانية. وأهم ما يتسم به الشعر عند شعراء جيل الموجة الصاخبة هو الرؤية المستشرية التى ترتبط بقناعة الشاعر بتجاوز مرحلته الزمنية التى يعيش فيها من دون أن يحدث الركون للضعف والاستسلام وانفلات الأمل والتفاؤل فى شعر شعراء هذا الجيل وهذا هو الذى دفع الناقد العراقى إلى أن يطلق على شعراء هذا الجيل تسمية الموجة الصاخبة.

معد الجبوري شاعر عراقى مرهف الشعور وله الموهبة الشعرية الفذة التى جعلتها من أبرز الشعراء العراقيين المعاصرين فى مستوى التجريب الشعرى فى الحركة الشعرية المعاصرة وفى الوقت نفسه من أبرز رواد المسرحية الشعرية فى العراق. شاعر ومثقف مخلص لشعبه وأمته العربية وكتب عن محنة شعبه وأمته التى لا تزال تعاني من ويلات الحرب والأطماع الخارجية الإستعمارية. فقد واكب أحداث شعبه وأمته من حزيران حتى اليوم وإكتوت بناها واختار سلاح الشعر انطلاقاً من وعيه الشعرى المتقدم بالوظيفة الشعرية وسيلةً لمواجهة عوامل السلب والانفصال التى تكرر اغتراب الإنسان العربى. كان شعر معد الجبوري شديد التأثير بعنف السياق الخارجى الذى أحاط به وله ارتباطه الوثيق بما يجرى فى الشارع العراقى والعربى وهذا الإرتباط هو الذى أثقل كاهل شعر معد الجبوري كما له إرتباطه الخاص بوجدان القارئ والمتلقى وهو الوحيد من بين الشعراء العرب المعاصرين الذين يدافعون عن حقوق المرأة المسلموبة فى المجتمعات الذكورية العشائرية التى تسلب المرأة إنتمائها الإجتماعى وللمرأة حضورها البارز فى طيات شعر معد الجبوري فهى المخلصة للأرض وللإنسان معاً وكثيراً ما نرى فى شعر معد الجبوري التواشج بين صورة الأرض وصورة المرأة وذلك للتماهى بينهما فى العطاء والخصب والنماء وهذا ما اتسمت به المرأة وعلّ الدفاع عن المرأة وحضورها فى شعر معد الجبوري أو من

الأفضل أن نقول إنّ الموقف الإيجابي للشاعر من المرأة وقضيتها يأتي نتيجة معاشة الشاعر لبعض رائدات الحركات النسوية التحررية كبشري حمدي البستاني وآمال الزهاوي. فكرة الموت والحياة هي الفكرة المسيطرة على شعر معد الجبوري. فقد جسّد الشاعر الواقع المعيش بما يحتويه من الإشكاليات وجسّد الواقع العراقي المتردى وعكس شعره عذابات الانسان العربي المعاصر تحت عنف افرزته الحضارة اللانسانية على الانسان المعاصر. شعر معد الجبوري إلى جانب رسم فضاءات الغياب والموت التي أحاطت الإنسان العربي والعراقي يرسم عالم انساني يتمتع بكثير من العقلانية والاخلاقية على أساس الوعي الممكن الذي يرتبط بتجاوز الواقع المعيش. تجاوز الواقع المعيش المنسحق بفعل السلطة الأمريكية والدكتاتورية يتحقق بالرفض عند معد الجبوري وإذا كان أمل دنقل أيقونة الرفض من بين شعراء جيل الخمسينيات فنستطيع القول إنّ معد الجبوري أيقونة الرفض بين شعراء جيل الستينيات. ما يطالعنا في خطابات معد الجبوري هي الإكثار من الإشارات التي تبعث على الأمل والتفاؤل في نفسية المتلقى وذلك لأن الأمل هو الذي يحقق الحضور ويجعل الإنسان متشبّثاً بالحياة والبقاء وسط تلافيف الموت التي أحاطته وهذا هو سر كثرة تكريس إشارات الأمل والتفاؤل في خطابات معد الجبوري الشعرية حيث يسعى الشاعر بترسيخ الأمل والتفاؤل في نفسية الشعب أن يؤجج نار المقاومة عند الشعب العراقي وترسيخ الأمل والتفاؤل وهو يأتي في إطار الرؤية المستشرية، ينحدر في شعر معد الجبوري عن الفهم الواعي للشاعر بالشعر ووظيفته فالشعر الحقيقي يتطلب من الشاعر أن يواكب تأسيس الوعي بالواقع المعيش عند المتلقى بالرؤية المستقبلية التي هي الوعي الممكن الذي يرتبط بتجاوز المرحلة الزمنية الراهنة وهذا هو ما نراه جلياً في شعر الشاعر الأشوري - من أول قصيدة نشرها في مجلة الفنون إلى آخر قصيدة نشرها الشاعر وهي قصيدة «المخطوطة الموصلية» التي تحتوى على مجموعة من الإشارات الحضارية والمعرفية جعلته تحت المسميات الكثيرة ومن أبرزها الشاعر الأشوري ومواكبة الوعي الفعلي وهو إدراك الواقع من منظور جدلي بالوعي الممكن وهو الإيمان بتجاوز المرحلة الزمنية المعيشة هي التي تكسب الشاعر الصدقية في التجريب الشعري «فالمبدع الذي يمتلك الصدقية عند عز الدين المناصرة هو الذي يحلل الواقع من منظور جمالي جدلي و منظور يعي التحولات الاجتماعية ثم يتجاوزها إلى استشراف المستقبل» (المناصرة،

١٥٠٢م: ٤٨). وفى ضوء هذه الحقيقة التى آمن بها معد *الجبورى* يكرّس دوماً فى شعره من الإشارات التى تبعث على الأمل والتفاؤل ويدعو إلى الرضى والتصدى.

أسئلة البحث

كيف تتجلى فكرة الموت والحياة فى شعر معد *الجبورى*؟
وما هى اللغة التى وظّفها الشاعر للتعبير عن فكرة الموت والحياة فى شعره وأى شكل من أشكال التعبير يطغى على التشكيلات الشعرية عند معد *الجبورى*؟

فرضيات البحث

فكرة الموت والحياة هى الفكرة الرئيسية التى تنبنى عليها القصيدة عند معد *الجبورى* والتى تعدّ جوهر الرؤية الشعرية والتجريب الشعرى لمعد *الجبورى* وما يطالعنا فى شعر الشاعر هو هيمنة موتيف الحياة على الموت حيث نرى الشاعر يكرس الإشارات والرموز التى تعبر عن حتمية الانتصار على عوامل السلب والإنفصال.
وظّف معد *الجبورى* لغة الرمز فى تشكيلاته الشعرية ولكنه أكثر من الرموز الطبيعية فى شعره لتجسيد فكرة الموت والحياة كما وظف الشاعر من الرموز التاريخية والاسطورية وما يطالعنا فى تشكيلات معد الشعرى هو قدرته على دمج الوظيفة بالجمالى فى التشكيل الشعرى.

خلفية البحث

شعر معد *الجبورى* شعر ممتاز جمع فيه الشاعر بين الجمالى والشعرى والقيمى الوظيفة ورغم أن الشاعر بلغ فيه الذروة إبداعاً وتعبيراً إلا أن هذا الشعر لم ينل استحقاظه من البحث والدراسة وظلّ بعيداً عن الأضواء وما كتب عن هذا الشعر ضئيل جداً. كتبت الشاعرة والناقدة الأكاديمية بشرى حمدي *البستاني* بحثاً عن شعر معد *الجبورى* سمته «شعر معد الجبورى: عنفوان التجربة وتوهج الصحارى» والبحث يحتوى على ست صفحات وهو متوفر فى موقع الشاعرة www.dijila.com وتطرقت فيها إلى دراسة الجانب الإبداعي فى التعبير وفى مستوى الإيقاع والبحث رحلة عابرة فى تجربة الشاعر تتوخى به

الشاعرة أن تقدم بشكل موجزاً أنموذجاً عن شعر الشاعر للباحثين. واختار اخلاص محمود عبد الله شعر معد الجبوري موضوعاً لأطروحته الدكتوراه بجامعة الموصل ودرس في رسالته على أساس المنهج السيميائي وظيفه العنوان في شعر الشاعر والرسالة كانت بإشراف الدكتور احمد جار الله ياسين وهي لم تناقش بعد والبحث هذا أول دراسة تتفاعل مع تجربة معد الشعري لتكشف عن الحضور الجدلي للموت والحياة في شعر الشاعر وهو من المحاور الرئيسة لشعر الشاعر الذي يستحق البحث والدراسة.

لمحة عن حياة الشاعر

ولد معد أحمد حمدون الجبوري عام ١٩٤٦ بمدينة الموصل. نشأ وتربى على حب العلم وظهرت له الموهبة الشعرية وهو في الحلقة الأولى من عمره وكان أبوه ملهمه في الشعر. تخرج في كلية الشريعة بجامعة بغداد عام ١٩٦٨ ثم عمل مدرساً ثم مديراً للنشاط المدرسي في تربية محافظة نينوى ويعمل حالياً مديراً للمجمع الإذاعي التلفزيوني في محافظة نينوى. وكان عضو اتحاد الأدباء في العراق عام ١٩٧٠ وعضو نقابة الفنانين منذ ١٩٨٠ ومثل العراق في العديد من مهرجانات الشعر خارج العراق (تونس اليمن، المغرب، بنغلاد، سورية، مصر) (عبدالعزیز سعود البابطين، ٢٠٠٢م: ٣٦٤).

دواوينه الشعرية

«اعترافات المتهم الغائب» ١٩٧١؛ «للصورة لون آخر» ١٩٧٤؛ «وردة للسفر» ١٩٨٢؛ «هذا رهاني» ١٩٨٦؛ «آخر الشظايا» ١٩٨٨؛ وله العديد من المسرحيات منها «آدابا» ١٩٧٧؛ «شموكين» ١٩٨٠؛ «الشرارة» ١٩٨٦.

وكان له في هذه الدواوين موقفه الرفض من دكتاتورية صدام حسين ومن السلطة الأمريكية واكتوى بنار التهجير إلى الكويت في زمن صدام حسين ومن ثم إلى مصر ولكن ظل في كل الأحوال مدافعاً عن قضية وطنه ساكناً ومشرداً يزرع الحماس في نفوس مواطنيه يجسّرهم لمواجهة دكتاتورية صدام حسين الذي كان يمارس التصفيات الدموية بحق الشعب العراقي واشتهر بموقفه الايدئولوجي الرفض من السلطة الأمريكية وكان

يحاول دوماً لإجهاض ما كانت السلطة تنادى بها من أنها تسعى لإقامة الديمقراطية في العراق بينما لم يحصل في العراق جراء حضورها إلى القتل والتشريد والاقتلاع والاستلاب.

ثنائية الموت والحياة في شعر معد الجبوري

جدلية الموت والحياة من أبرز المضامين الشعرية التي سادت معظم أعمال معد الجبوري الشعرية وشغلت حيزاً كبيراً من مساحة شعر الشاعر. فقد كرس الشاعر في شعره الواقع المتأثر بعنف السياق الخارجي وجعل هذا الواقع المنكوب بفعل ممارسات الدكتاتورية والسلطة الأمريكية في ثنائية مع الحياة التي تكمن عند الشاعر في الرفض، وأرى أنّ هذه الثنائية تنطلق من موقف رؤيوي للشاعر ولها دورها في أدلجة النص الشعري وما لا مجال للإرتياب فيه هو تكريس فكرة الموت والحياة في شعر معد الجبوري محاولة لإرتياد الحضور والموت في شعر الشاعر ليس صورة عن الواقع ومأساته بل هو وسيلة تنبثق في قناعة الشاعر منه الحياة والحياة تولد من رحم الموت (وليد جرادات، ١٣٠١٣م: ٧٥٤). قال الشاعر:

كُلَّ يومٍ / أغادرُ كهفي / ألمُّ الطَّحالبِ / أحتطبُ العُرى والجوعَ وحدي / أعدُّ خطوطَ
السنين / التي يبستُ فوقَ جلدي / أتلمسُ وقْدَ الرمالِ / التي غلغلتُ في عظامي / ثمَّ أغلقُ
أبوابَ مملكتي / فتسيلُ دمائي أمامي (الجبوري، ١٣٠١٢م: ٨).

ونرى هنا المواجهة بين الشاعر وبين عوامل السلب والانفصال. إنّ الطحالب من الأعشاب التي تطأها الأقدام وفي توظيفها رمزاً للسلطة إشارة إلى خواء السلطة الأمريكية والعري والجوع مظاهر الموت الذي شاع في العراق، وما يكرسه الشاعر أو ما يدعو إليه هو المقاومة والمواجهة رغم ركام عوامل السلب والانفصال التي تنشر الموت، ما يشير إليه بفعل - أحتطب - وتلمس الرمال وهي رمز العراقة والأصالة هو الدعوة إلى التشبث بالأرض؛ وهذا التشبث هو ما يحقق الخلاص للأرض وإنسانها عند الشاعر والدماء إشارة إلى فكرة الموت والشهادة وهي هنا من إرهاصات الخلاص من السطو العدواني وهو يتحقق بالتشبث بالأرض والمواجهة ومن مظاهر جدلية الحياة مع الموت نلاحظه في قوله:

حدّثني / عن دربٍ تُنحرُ فيه العنقاء / عن قافلةٍ تتقاذفها ريحُ الصحراء / لا أملكُ أنْ أتكوّرَ
كالقنْفُذ / أو أصمّت كالليل / لا أملكُ أنْ أفلتَ مِن ذاتي / أنْ أصرخ / أنْ أعدو كالسيل / مَنْ

خَبَّأَ فِي جُرْحِي السَّكِينُ / مَنْ أَلْبَسَنِي فَرُوءَ ذَنْبٍ / مَنْ ذَوَّبَ فِي كَأْسِي / غَلَقَمَ آفَ سَنِينُ
أَهْ / لَوْ أَمَلِكُ أَنْ أَعْدُو / عُريَانَ الْوَجْهِ / أَمْرُغُ خَطْوِي بِالطَّيْنِ / لَخَنَقْتُ بِأَعْمَاقِي مِنْ زَمَنِ / زَيْفَ
الْقَرْنِ الْعَشْرِينَ (الجبوري، ١٢، ٢٠م: ١٢ - ١٤).

يجسّد الشاعر في هذه اللوحة من قصيد "الإعتراف" استلاب الحريات وفضاءات الخناق التي أهدقت بالوطن زمن الإحتلال الأمريكي. إن عدم مقدرة الشاعرة على الصمت أو الصراخ وعدم امتلاك الإفلات من الذات اشارات شعرية إلى استلاب الحريات والخناق الذي كان العراق يعيش فيه بفعل السلطة الأمريكية، والسبب في معاناة الأرض وانسانها هو عند الشاعر الموقف المتخاذل من بعض الدول العربية مما يجري في الشارع العراقي من القتل والتدمير واستلاب الحريات. إن تخبئة السكين في الجرح تعبير شعري عن خيانة بعض الدول العربي بحق العراق وتواطئه مع الامبريالية الأمريكية. أوردف الشاعر هذه اللوحة بما يكرسه فيه أن ما يحقق الحضور للإنسان العربي رغم الحصار والاستلاب والقتلاعات هو المواجهة مع عوامل الموت:

هل أنا العاشق / المُسْتَعْيِثُ المُشَرَّدُ / قد أكونُ الغريبُ / الذي أنكرتهُ الدروبُ / القَتِيلُ
الذي أنكرتهُ القبورُ / غيرَ أني / لن أكونُ المُهاجرَ / ما دامَ بيني وبينَ الرياحِ / اشتباكُ (السابق):
(١٦٠).

نرى هنا المواجهة بين الشاعر وعوامل الموت التي تشبك بواقع الأمة. إن الرياح رمز السلطة الأمريكية وسرّ تسويغ استعارة الريح رمزاً للسلطة هو التماهي بينهما في الخراب والتدمير والريح جاءت بهذه الدلالة في النص القرآني وما يكرسه الشاعر في هذه اللوحة ويؤكّد عليه بحرف "لن" التي تفيد التأكيد والتأييد، هو أن المواجهة والاشتباك مع عوامل السلب والانفصال التي تكرر اغتراب الإنسان العربي المعاصر هو ما يقود الانسان العربي المنكوب بفعل الحرب والعدوان إلى شاطئ الأمان، ويحقق له حضوره في الوطن الأم ويمكنه من التشبث بالأرض. وما يحقق الخلاص للوطن وبزيح الحزن عن وجه الانسان العربي هو الشهادة:

أَنْ سَاعَةَ الْخُلَاصِ / لَا تَحُلُّ إِلَّا بِالْدمَاءِ وَاللهيبِ / طَلَعْتُ مِنْ حَفْلِ مَنَاخَتِي / فَتَوَجَّتُ
احْتِجَاجِي مَلِكاً / واخترتُ أَنْ أقرأ / أسفَارَ الرمادِ والحريقِ / وقبلَ أَنْ تَعْتَصِرَ الجَمْرَ أصابعِي /
تَحَسَّسْتُ البراعِمَ / التي تورقُ في جُرْحِي / والوَشْمَ الذي يُعْشِبُ / فوقَ جِلْدِي المحروقِ /

رأيتُ في عناقى الحميم للتراب/ كيف يحفظُ الجائعُ ماءً وجهٍ/ وكيف يلغى الحدَّ/ بينَ
الفعلِ والرَّغْبَةِ(السابق: ١٦٥).

يشير الشاعر إلى الحياة وامكانية استمرارية دورة الحياة عبر تجسيد الاحتراق الفينيقي المتمثل في الحريق والرماد، كما يشير إلى التوصل إلى الخصب والنماء بتجسيد البراعم وهى تورق فى جرح الشاعر وماء الوجه أراد به الشاعر العزة والكرامة والحياة واستمراريتها والتوصل إلى الخصب والنماء والحفاظ على العزة والكرامة كلها تحصل بالشهادة والموت فى سبيل الوطن الأم وهذا الموت هو الموت البطولى عند الشاعر.

سالَ دُمَ العُشْبِ/ على وجهي/ مُدَّ هبَطْتُ لُوادٍ/ وناحَ الوَرْدِ/ واسوَدَّ جبينُ الهلالِ/ النَّأى
فى كَفَى/ عصفورٌ جريحٌ/ وشفاهى حَجْرُ/ وفِضَّةُ/ الحلمِ/ تتشظى/ حَطْباً/ والشجرُ/ يقطرُ
جمراً/ من سفوح الجبال(السابق: ١٤٨).

يعتمد الشاعر فى هذه اللوحة على الاستعارة بالكناية لتجسيد المكان وما آل إليه من الإحباط وتشظى الحياة وجمودها.

إن الورد يرتبط بالمكان والهلال يرتبط بالزمان وفى استعارة الورد والهلال إشارة إلى الفاعلية الزمكانية التى كانت العراق يتمتع بها، ونواح الورد واسوداد الهلال واللون الاسود يحمل معانى الموت والانطفاء والضياع، تجسيد شعري عن مأساة العراق واطفاء جذوة الحياة فيه باشتباك عوامل السلب والانفصال بواقعه والعراق رغم ما آل إليه من الإحباط والتشظى إلا أنه يواصل مسيرته الحضارية ويتوصل إلى الفاعلية فى الحياة ولكن مرد ذلك فى الرفض والتصدى:

لى ولكم أن نعتنق النار/ بلا كُتْبِ رسمِيَّة/ لى ولكم أن نختارَ النارَ/ طريقاً وهويَّة/ ولمن
يؤثرُ درباً آخراً/ أن تخلعَ طاوِلَةَ المُؤْتَمراتِ عليه/ الألقابَ المُثلَى/ والأوسِمَةَ
الوهميَّة(الجبورى، ١٢٠٢م: ١٦٨).

ولفظة النار تعيدنا رمزياً إلى قصة ابليس وتمرده على إرادة الله والنار هى رمز الرفض والتمرد على إرادة السلطة، وهو الذى يحقق الخلاص والنار فى هذه اللوحة الماعة إلى الحدث التراثى وقصة آدم وحواء واللوحة هذه بتوظيف الحدث التراثى تعيدنا إلى مقولة أمل دنقل الشهيرة فى قصيدة «كلمات سبارتاكوس الأخيرة» ومن صور جدلية الموت والحياة نجدتها فى قوله:

سترى قميصك/ عند مدخل غابة زرقاء/ تحملهُ العذارى/ يومَ مِنْهُ تفوحُ رائحةُ القرى
والنهر/ يومَ يفوحُ من أجسادِهِنَّ اللّيمُ/ والحلمُ القديمُ/ ويبدأ الرقصُ المِزاجيُّ
المُثيرُ(السابق: ٢٤٩).

والقميص يعيدنا إلى قصة النبي يوسف فقد كان القميص في القرآن وسيلة احباط
المؤامرة ووسيلة ازالة الحزن عن يعقوب، والنهر يرتبط بمعاني الحركة والاستمرارية
والفاعلية واللون الأزرق يرتبط بدلالات الحياة والتفاؤل بها، والرقص يرتبط بأجواء الفرح
والبهجة والخلاص واستمرارية الحياة وبهجتها كل متأتية بالرفض الذي رمز عنه الشاعر
بالنار ومثل الجدلية بين الموت والحياة وانتصار الحياة على الموت نلاحظه في قوله:
نضبتُ حتى الأباريق/ وغطى قلعةَ العشقِ رَمادُ الوقتِ/ والنَّجمُ توارى/ فرمى العُشاقُ/ من
آخرِ بُرجٍ/ ما تَبَقَّى من أكاليلَ وأقداح/ وحينَ انحدروا/ مِنْ شَرْفَةِ الليلِ/ إلى الوديانِ/ ما
عادوا مجاذيبَ سكارى/ وعلى آخرِ بُرجٍ/ وقفَ الشَّاعرُ يُصنَعُ ويرى/ في الأفقِ النَّائِي/ دنانِ/
بَعْدُ لَمْ تسكَبْ نبيذَ العشقِ/ في الروحِ/ وفي الروحِ صحارى/ شَرَبَ الشَّاعرُ/ حتى دارتِ
الأفلاكِ/ واخضَلَّتْ أباريقُ الرُّؤى/ حتى رأى بحراً/ مِنَ الصحراءِ يَأْتِي طافِحُ/ والكلماتِ
البَيْضِ تَنثالُ عليه/ وهى أَبكارُ عذارى(السابق: ٤٨).

يشير الشاعر في هذا المقطع السردي الدرامي إلى امكانية استمرارية دورة الحياة عبر
التزام فكرة الحب. والحب عند الشاعر هو القوة المحركة التي تمكن الانسان من مواجهة
عوامل السلب والانفصال. إن الشاعر نموذج للانسان العربي الملتزم بوطنه وقضيته وشربه
إشارة إلى فكرة الحب والحب هو الذى يتمكن الانسان من زرع اللحظة فى المكان ما يعبر
به الشاعر بدوران الأفلاك واقبال البحر، وهو يرتبط بمعانى الدالة على الحركة
والاستمرارية والصحراء هى مصدر خيرات العرب الدافقة والتشكيل. هذا يعبر عن استعادة
الفاعلية واستمرارية دورة الحياة فى العراق عند وجود الحب ويرى معد الجبوري فى
قصيدة «العبور» أن ما يحمل مسؤولية محنة العرب ومعاناته هو العقم الفكرى وتخلف
تعيش فيه الأمة:

وقَفنا عرايا/ نلْمُ ثيابَ الطفولةِ/ نسألُ عن حارةِ نَسْتَظِلُّ بِحِيطانِها/ نرتمى بينَ أحضانِها
مُتَعَبِينَ/ وقَفنا نُحَبِّئُ عوراتنا/ كانت الريحُ تصفرُ/ بينَ الخرائبِ/ والشمسُ تسقطُ خلفَ
الجبالِ/ وأجسادنا ينضجُ المِلْحُ مِنْها/ ورائحةُ التبغِ والأسبرين(السابق: ٤٨).

والعريان والممام ثياب الطفولة ونضوح رائحة التبغ كلها تجسّد العقم الفكرى والتخلف الحضارى الذى تعيش فيه الأمة العربية وهو سبب معاناة الأرض العربية وانطفاء فاعلية الحياة فيها.

إنّ الريح رمز الحركة والفاعلية واصفراره واللون الأصفر يرتبط بمعانى الموت والضياع وسقوط الشمس وهى واهبة الحياة والنور تجسيد شعرى عن ضياع الحياة فى الوطن العربى. وقولها- نستظل بحيطانها- تعبير عن زيف الحضور عند الانسان العربى: نرمى جمارَ السُّبابِ/ بوجهِ القبورِ/ سمِعنا هديرَ أسارى/ وهمٌ يكسرونَ القيودَ/ رأينا قصوراً زُجاجيَّةً/ تتهاوى/ فتطلع منُ بينها أدْرُعُ/ تملأُ الأرضُ/ تمتدُّ نحوَ السماءِ(السابق: ٥٠).

وامتداد الأزرع نحو السماء بعد أن تملأ الأرض هو تعبير شعرى عن تفتح الحياة ولكن هذا الفتح يكمن عند معد/الجبورى فى نبذ الزيف والتمويه الذى يشير إليه الشاعر بكسر القيود ونبذ جمار السباب بوجه القبور وقال فى قصيدة «للصورة لون آخر»:
أعترفُ الساعةَ/ أنى كنتُ بكيتُك يا وطنى/ حتى ابيضتُ عينائى/ فألغيتُ قِراءةَ كُلِّ
مواعيدِ البرقِ بعينيكَ/ وحينَ طلعتُ/ منْ حلقاتِ النَّدى/ وقفتُ/ وأحصيتُ أمامك سقطات
(الجبورى، ٢٠١٢م: ١٦١).

يعبّر الشاعر فى افتتاحية هذه القصيدة عن حزنه الشديد للوطن الأم وما آل إليه من الموت والضياع بتوظيف قناع النبى يعقوب، وهو ابيضت عيناه فى هجر يوسف والشاعر بالاشارة إلى الحدث التراثى يضيف نوعا من الموضوعية إلى ما يعبّر عنه وما يرى به الشاعر رغم معاناة الأرض هو حتمية التوصل إلى الخصب والنماء وهو يأتى:

لكنى أنبئكم أنى فى تشرين/ رأيتُ الدَّمَ يورقُ/ بينَ رمالِ الصحراءِ/ المُتداخِلُ فى
العظمِ/ يسدُّ طريقَ الرؤيا/ لكنى أنبئكم أنى فى تشرين/ رأيتُ الماءَ/ يتدفقُ بينَ أكفِّ الجندِ
الممتدينَ/ منَ الجولانِ/ إلى سيناءِ(السابق: ١٤٤).

وتشرين هو شهر الخصب والنماء والنهر هو رمز الحركة والفاعلية والدم فى هذه اللوحة اشارة إلى فكرة الموت والشهادة، والشهادة هى التى تمكن الأرض من الفاعلية والحركة كما يشير إليه الشاعر فى هذه اللوحة وقال فى قصيدة «وردة الذكرى»:

هذا أنا/ ما زلتُ أحملُ/ صخرة الألمِ النَّبيلُ/ وأعوذُ بالصبرِ الجميل/ وَقَدْ طَفَحَ الحِصَارُ/
ونافِثُ سَمِّ الأفاعي السُّودِ/ في حُبزى ومائى/ وأعوذُ بالدَّمِّ والغَضَبِ/ منْ جاحِدِينِ وخانِعِينِ/
باعوا ضَمائرَهُمْ (الجبوري، ١٢٠١٢: ٤٨٥).

وظف الشاعر في هذه اللوحة اسطورة سيزيف وهو رمز العذاب الأبدى في الشعر العربي المعاصر. «لقد ورد في إحدى الأساطير اليونانية القديمة أن سيزيف حُكِمَ عليه بسبب تمرده على الآلهة أن يرفع صخرة عظيمة من أسفل الجبل إلى أعلاه إلا أنه لم يتمكن من أداء مهمته رغم محاولته وجهده البليغ، ولم يجن في كل مرة سوى الفشل والخيبة» (همتي وأميري وصالحى، ١٣٠١٢: ١٢٩) ومن هنا غدا رمزاً للعذاب الأبدى يوظفونه الشعراء المعاصرون للتعبير عن معاناتهم وعذاباتهم، ونرى في هذه اللوحة أن معد الجبوري وظف هذه الأسطورة لكنه يوسع في دلالاتها الأصلية بإضافته إلى الألم ووصفه بالنبيل، والشاعر بالإشارة إلى المعاناة السيزيفي يدعو الجماعة إلى حمل عبء المسؤولية والعمل والمعاناة في سبيل الوطن ويدعو إلى مواجهة الذين يتواطؤوا مع العدو الخارجى.

نتيجة البحث

معد الجبوري من أبرز الشعراء المعاصرين في الحركة الشعرية العراقية واشتهر بموقفه الراض من السلطة الحاكمة. الشعر عند معد الجبوري هو وسيلته لمواجهة عوامل السلب والانفصال. جدلية العلاقة بين الموت والحياة هو ما يكرسه الشاعر في كل مجاميعه الشعرية. رغم ما يجسده الشاعر من فضاءات الموت والضياع في شعره لكن نراه دوماً يقبض على جمر الأمل والتفاؤل ويدعو إلى الرفض والتمرد ومواجهة العدوان، ذلك لأن الأمل والتفاؤل هو ما يجعل الإنسان يتطلع إلى المستقبل ومن ثم يقدره على مواجهة عوامل السلب والانفصال.

المصادر والمراجع

- البستاني، بشرى. ٢٠١٥م وداعاً أيتها الشاعرة العظيمة: www.dijila.com.
الجبوري، معد. ٢٠١٢م، الأعمال الشعرية الكاملة، عمان: دار الفضاءات.
سعود، عبدالعزيز وآخرون. ١٩٩٥م، معجم البابطين للشعراء العرب المعاصرين، الطبعة الأولى، الكويت، دار القيس.
المناصرة، عز الدين. ٢٠٠٧م، جمرة النص الشعري (مقاربات في الشعر والشعراء الحداثة والفاعلية)، الطبعة الأولى، عمان: دار مجدلاوى.

المقالات

- وليد جرادات، رائد. ٢٠١٣م، «جدلية الموت والحياة في شعر محمود درويش»، دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد ٤٠.
همتي، شهريار وأميري، جهانگیر وصالحى، پيمان. ٢٠١٣م، «تأثير أسطورة سيزيف اليونانية في قصيدة «كتيبة» و«قصيدة «المنفى» للبياتي»، مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها، العدد ١٣.

Bibliography

- Bustani, Bushra. Goodbye Great poet: www.dijila.com.2015
Jubouri, Murad. Complete poetry works. Amman.
Saud, Abdelaziz and others. Al-Babtain Dictionary of Contemporary Arab Poets, The First Printing, Kuwait, Dar Al-Qubas.1995
Al-Manasrah, Ezzedine, ember of Poetic Text, (Approaches in Poetry and Poets of Modernity and Effectiveness) Amman, Darmadgadlawi, First Edition, 2007
Hemati, Shahriyar, Amiri, Jahangir, Salehi, Peyman, the influence of the Middle Ayatollah Sizif al-Yunjani in the Qesidah of the Qatiba, and the "Al-Manfi" al-Bayati, the journal of the Enlightenment and the Arabic dialects.2013m
Waleedeh Jadats, Ra'ad, Jedili Alamut and Al-Hayyat in the poem of Mahmoud Darwish. Dresat al-ulum al-Sunniyah and Wali'z'yana.Almjdel40.All number 3.2013 m.